(( احفظ الله يحفظك ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ العلق: ٩ - ١٩

هذه آيات بينات تحكى حدثاً جللاً ، وموقفاً تاريخياً شهدته مكة، ومشركوا مكة قبل أكثر من ألف وأربع مائة وثلاثين سنة، يوم صُدِمَت الدعوة المكية بالجحود والظلم والاستكبار فجاء فرعون هذه الأمة أبو جهل ووقف على النبي مهدداً متوعداً محذراً، وقال : يا محمد واللات والعزّى لئن رأيتك تصلي في هذا المقام بعد هذا اليوم لأطأن رأسك بقدمي .

المهدد أبو جهل رمز من رموز الشرك ؛ يوم كان الشرك صاحب صولة وجولة بمكة يقول واللات والعزّى لئن رأيتك تصلي في هذا المقام لأطأن رأسك بقدمي قمة التهديد والوعيد إنذار شديد اللهجة من عدو الله أبي جهل إلى رسول رب العالمين إلى سيد ولد آدم محمد بن عبدالله إلى من قال الله فيه ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ المائدة: ٦٧

وقال ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الكوثر: ٣ وقال ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الحجر: ٩٥ وتلقّى النبي التهديد والوعيد من هذا السفيه فتنزّلت الآيات من السماء بموعظة ووعد ووعيد وترغيب وترهيب

ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ العلق: ٩ - ١٩

والسفع: الأخذ الشديد لنسفعن هكذا بالقسم فاللام واقعة في جواب قسم ولم يفصل بين أداة القسم وبين الفعل، والناصية أي مقدم الرأس.

وأقبل النبي صوب الكعبة ورؤوس الشرك قد اجتمعت بجوار الكعبة ، موقف عظيم رهيب وصلّى النبي أمام أبي جهل وأمام أبي لهب وأمام رؤوس الشرك ولم يتوارى عن عيونهم بل صلّى أمام عدو الله أبى جهل وركع وقال في ركوعه سبحان ربي العظيم ، وسجد وقال في سجوده سبحان ربي الأعلى وجاء أبو جهل حتى إذا اقترب من رسول الله وقف وكأنه ذبابة حقيرة يتمتم بكلمات فقيل يا أبا الحكم لقد أقسمت باللات والعزّى وعظام الآلهة لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَتطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَتعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، وها هو قد سجد بين أظْهُرِنَا فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ -: { ، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، كَلَّا لَا تُطِعْهُ}

عباد الله إن هذا الموقف الخالد ليأخذ بأيدينا جميعا شيبا وشبابا رجالاً ونساءً إلى الحقيقة الغائبة والوصيّة الجامعة المانعة التي لقنها النبي لابن عمه يوم أخذ بمجامع قلبه وروحه وقال يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

احفظ الله يحفظك

سنة ماضية باقية فهذا نبي الله يونس سقط في البحر وأسلم نفسه للأمواج ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الصافات: ١٤٢.

في ظلمة جوف الحوت وفي ظلمة جوف البحر وفي ظلمة الليل في ظلمات ثلاث.

وهذا عدو الله فرعون سقط في قاع البحر وارتطمت عليه أمواج البحر ودعا يونس ربه ودعا فرعون ربه، دعا يونس بالتوحيد ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الأنبياء: ٨٧.

ونادى فرعون فقال ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ يونس: ٩٠

ثم يجيء الجواب الإلهي من رب العزة والجلال لنداء الفريقين فكيف كان الجواب أمّا نبي الله يونس فجاء الجواب ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ الأنبياء: ٨٨

أما فرعون فجاء الجواب ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ يونس: ٩١.

فرعون لم يحفظ أوامر الله، فرعون انتهك حدود الله، يونس حفظ أوامر الله، يونس كان من المسبحين.

وهنا يا عباد الله نقطة الافتراق الأعظم في حياة يونس وفرعون، يونس كان من المسبحين الموحدين، وفرعون كان من المفسدين الكافرين، لجأ إلى الله جميعا فكان رصيد الأول تسبيح وصلاة وحفظ لله ينجيه، وكان رصيد الثاني طغيان ومعاصي وفساد في الأرض يرد به.

احفظ الله يحفظك

قال ابن رجب يرحمه الله: أي حفظ حدود الله، احفظ أوامره بالامتثال واحفظ نواهيه بالانزجار فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين قال الله عنهم ﭽ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ ق: ٣١.

احفظ الله يحفظك

احفظ الله فلا يحضر حق لله إلا وأنت ممتثل له، ولا تسمع نهيا لله إلا وأنت منتهي عنه، احفظ الله وتذكر أن الشدائد قد توالت على الأمة، احفظ الله وتذكر أن الشبهات والشهوات تحوط بنا من كل صوب، احفظ الله وتذكر أن الجزاء من جنس العمل، احفظ الله وتذكر أننا نقترب من محن وبلايا وفتن ورزايا يميز الله بها الخبيث من الطيب وإن من أعظم ما نواجه به هذا البلاء أن نحفظ الله فيحفظنا الله، احفظ الله في نفسك وأهلك وبيتك، احفظ الله في شبابك يحفظك عند الكبر، فها هو الإمام العلامة أبو الطيب طاهر بن عبدالله الطبري بعد ما جاوز المئة سنة وهو يتمتع بقوته وعقله فوثب يوما وثبة شديدة فعوتب في ذلك فقال هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر فلم تنتهك حرمات الله بالنظر ولسان لم يقع في أعراض عباد الله ولم تتسلط على العلماء، إن بعض السلف رأى شيخاً مسناً يسأل الناس فقال هذا ضيّع الله في صغره فضيّعه الله في كبره.

قال عروة بن الزبير: بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل.

ومن يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

من استجار بغير الله من فزع فإن ناصره عجـــــــــز وخذلان

فالزم يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركـــــــان

احفظ الله في صلاتك واحذر أن يراك الله غافلا عن الصلاة قال ابن رجب يرحمه الله وأعظم ما يجب أن يحفظه العبد من المأمورات الصلوات الخمس وقد سمّى الله المواظبة على الصلاة وأدائها حفظا فقال ﭽ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ المعارج: ٣٤.

إلى الله المشتكى فكم منا من حفظ الله في صلاة الفجر والنبي يقول (من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله).

احفظ الله في جوارحك فحفْظها من أعظم الحياء من الله، قال ابن رجب ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله اللسان والفرج

(فمن حفظ ما بين فقميه وفرجه دخل الجنة)

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﭼ النور: ٣٠.

الفرج من أكبر الكبائر قال أبو إدريس الخولاني أول ما أوصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض حفظ فرجه وقال لا تضعه إلا في حلال، احفظ الله يحفظك من حفظ الله في دينه من الشبهات والشهوات حفظه الله في دنياه وبدنه وولده وأهله وماله قال ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﭼ الرعد: ١١

قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه.

وأذكرك بهذا الدعاء الذي لم يدعه نبيك حين يمسي وحين يصبح (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي).

الثانية

حجاج بيت الله العتيق ..

مضت الأيام المعلومات، وقضيت الأيام المعدودات ، وودعنا الأيام العشر وأيام التشريق ونسأل الله تعالى لنا ولكم القبول والإخلاص ، وشدّ الحجاج متاعهم ورحلهم إلى ديارهم

وإني أذكر نفسي وإخواني بعظم منة الله تعالى علينا يوم متعنا بهذا البيت، وطفنا بين تلك العرصات في وقت انقطعت فيه بكثير من الناس السبل فلم يصلوا إليه.

إنك تعجب وتحزن يوم تستمع إلى حديث العائدين من الحج فلا تسمع قبل الحج وأثناء الحج وبعد الحج إلا حديثاً عن الزحام وحركة السير ودرجات الحرارة والبرودة وكأن كل واحد من هؤلاء ظن أن لا يعبد الله على هذه الأرض إلا هو.

كم أتمنى أن نستمع إلى العائدين من الحج وهم يتحدثون عن روحانية الحج وعظم هذا الركن العظيم ؟

لماذا لا نتحدث عن الحج حديث المعظم لشعائر الله ؟

لماذا لا يكون الحديث عن عرفات وعن عظم ذلك الموقف الرهيب؟

عن تلك الرؤوس التي حسرت ، والأكف التي بسطت ، والدموع التي فاضت ، والعبرات التي انسكبت .

لماذا لا يكون الحديث عن إفاضة الناس إلى مزدلفة في مشهد عظيم مهيب تهتز فيه المشاعر، وتتلجلج فيه الحناجر ، وتتلعثم فيه الألسنة ؟

أين الحديث عن صعيد منى والجمرات في ذلك الموقف التعبدي المحض يوم أن يلقي الحاج حجرا فيضرب به حجرا ؟

أين الذي يقول لله الحمد والمنة الذي أزراني بيته ؟

وفي الأرض قلوب عطشى وعيون ونفوس ظمئ تتمنى أن تنظر إلى هذا البيت فلم تره ترى صورته عبر القنوات والشاشات فتبكي وتئن شوقا لرؤية هذا البيت العظيم ، نعم كم من عيون فيها الظمأ والشوق إلى هذا البيت أشد من ظمئنا وشوقنا .

عباد الله ...

ينبغي علينا جميعا أن نتذكر فضل الله علينا في كل طاعة لله نعملها وفي كل قربة لله نتقرب بها ولنحذر من صولة الطاعة والإدلال على الله بالعمل ، فالله غني عنا وعن حجنا ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ آل عمران: ٩٧ اللهم إن كبير ذنبنا يسير عند عفوك فاعف عنا اللهم ان رحمتك أوسع من ذنوبنا فاغفر لنا